سوبر ماما

في يوم من الأيام ساقتني الظروف والأقدار في اتجاه الكتابة في الحب والعلاقات العاطفية. كان الطريق مفتوحًا أمامي وكانت الفرص للتألق والنجومية أكبر بكثير من الآن. كانت المجلات الشبابية باللغة الإنجليزية في أوجها وكانت قنوات التليفزيون الخاصة في قمة الإقبال عليها. كان ظهور فتاة شابة متفتحة على الشاشة لتتحدث بكل ثقة عن الحب والمجتمع والعلاقات أمرًا جديدًا ولاقى نجاحًا جماهيريًّا في هذا الحين. بعد المقالات والحلقات التليفزيونية، بدأ المراهقون والمراهقات، والشباب والبنات، والمتزوجون والمتزوجات، وكل من يعانون في علاقاتهم العاطفية في التواصل معي. هكذا، أصبحت مشهورة.

فرحت بإنجازاتي وشعرت بالفخر وتذوقت متع الشهرة والتألق لفترة لم تطل. مع الشهرة تأتي ضغوط لم أتعرض لها من قبل. مثلًا، ضغط أن أكون في علاقة عاطفية سعيدة ومستقرة، أم باب النجار مخلع؟ ضغط أن أظهر في كل المحافل بصحبة شريك. ضغط أن أشارك نجاحي العاطفي مع الناس الذين لجئوا لي للمشورة. ضغط الزواج! لماذا أنا عزباء في منتصف الثلاثينيات؟ رسم لي المتابعون والمتابعات صورة ما ورضخت لضغوط الظهور

بالكمال والسعادة! بدأت أكذب على نفسي وأتخيل مشاعر لم أشعر بها، أفصح عن علاقات وأتفاخر بها فقط لإرضاء جمهور المشاهدين والمشاهدات.

دخلت في دوامات الاكتئاب وصراعات بين ما أظهر وما أبطن. كنت أشعر أن هناك امرأة أخرى تعيش حياتي وتمثل أنها أنا! ظهر في حياتي أناس قدموا أنفسهم لي على أنهم/ أنهن أصدقاء وصديقات، وفي الحقيقة كان الأغلبية مستمتعين بالعرض المستمر لحياتي العاطفية وأبطالها المتجددين. تحولت من إنسان إلى بهلوان وظيفته إضحاك الجمهور وتسليته. انتظروا مني الكمال والمثالية والبراعة فتصنعت كل هذا وأديت دوري، إلى أن لم أستطع التمثيل أكثر من هذا!

صرحت بحزني وألمي ولكنهم لم يتقبلوا أخطائي واختياراتي السيئة. بدأت أتهاوى وانقسم الجمهور إلى فئة تتابع في صمت، وفئة انتشت بفعل مشاعر الشماتة والتشفي، وفئة أغرقتني في مشاعر الشفقة، وفئة هاجمتني بقسوة وعنف في السر أو العلانية. احترقت العنقاء! في قمة ضعفي وانكساري وانهزامي، أرسل الله لي طوق النجاة، تحققت المعجزة، بصرف النظر عن التفاصيل، أصبحت أم «آدم».

اخترت اسم «آدم» ليكون يوم 31 أغسطس 2010، يوم ميلاد «ماريا مونتيسوري» التي لم أكن أعرفها أو أسمع عنها من قبل، هو يوم معرفتي بأنني سأصبح أمًّا. اخترت اسم «آدم» ليكون نقطة النهاية ونقطة بداية جديدة. قامت العنقاء من بين الرماد أكثر قوة وأكثر حكمة! لقد تعلمت أن «الشهرة» زائلة، ومشاعر «الجمهور» زائفة، وأنه لا يوجد في هذه الحياة ما يستحق أن أنفي عن نفسي جمال آدميتي، أجمل ما في الآدمية هو تطورها، تطورنا، نخطئ، نجاهد، نتعلم، نتطور، نرتقي، ثم نخطئ ونجاهد ونتعلم ونتطور ونرتقي، ثم نخطئ لنرتقي!

في بدايتي الجديدة مع «آدم»، كنت قد ابتعدت تمامًا عن الكتابة وكل ما يخص الإعلام. كنت سعيدة وأنا آخذ خطوات صغيرة حقيقية في رحلة الأمومة. تعرفت على د.«ماريا مونتيسوري» وبدأ فصل جديد من الرحلة. بدأت أطبق ما أتعلمه وأنشر صوري و«آدم» على حسابي الشخصي على الفيسبوك من قبيل التوثيق لا أكثر. طوال فترة الحمل، ولمدة ثلاث

سنوات من بعد ميلاد «آدم»، وأنا بعيدة تمامًا عن مواقع التواصل الاجتماعي. أهملت صفحاتي وموقعي وشعرت بالراحة وأنا أفقد اهتمام كل من ادعوا الحب أو القرب أو الصداقة من الجمهور.

لكل منا طريق مرسوم له لحكمة ما.

سرت في طريقي حاملة طفلي فوجدتني أسير مرة أخرى في طريق يؤدي إلى الجمهور، هذه المرة أصبح الجمهور هو الأمهات والآباء من المهتمين والمهتمات بالتربية، والتعليم، وفلسفة ونهج المونتيسوري. لقد تعلمت الدرس جيدًا! أنا لست مديونة لأحد بالكمال! أنا لست مديونة لهم بالمثالية! أنا لست مطالبة بتفسير أي شيء أو تبرير أي شيء! أنا حرة! أكتب كما أشاء عن مشاعري السلبية ومخاوفي وإحباطاتي وأخطائي! أكتب ما يعبر عني لا ما ينتظره مني أحد!

بالتأكيد فعلت شيئًا عظيمًا في حياتي ليرزقني الله بطفل مثل «آدم». أقول له إنه «أحلى بيبي في الدنيا» وأنا أعنيها تمامًا. لم ينظر لي أحد مثلما ينظر «آدم» لي، نظرة لا توصف بالكلمات. يصلني حبه لي في كل لحظة، لم يحبني أحد كما يحبني هذا الصغير. عندما كان رضيعًا كنت أنا الشمس والهواء والدنيا بحالها بالنسبة له. عندما كبر قليلًا وجد حل كل مشكلاته على صدري وفي لبني وداخل حضني. كبر أكثر واقتنع أنني امرأة خارقة قادرة على تحقيق كل أحلامه وتلبية كل احتياجاته. يأتي إليَّ بكل لعبة مكسورة وكله إيمان تام بقدراتي الخارقة. إلى يومنا هذا يعتقد «آدم» أن قبلتي تشفي الألم ولمستي تداوي الجرح. يهلل الصغير الحنون بكل صدق كلما حققت إحدى انتصاراتي الصغيرة. كل يوم، يدفعني دفعًا لأكون إنسان أفضل.

في يوم من الأيام سيكبر ويعرف أنني مجرد امرأة محدودة مهما بدت إنجازاتي. سيتعرف على باقي مخاوفي وحواجزي النفسية. سيعرف أنني أخطئ وأهزم وأجرح وأبكي. سيعرف أنني لست مثالية كما ظنَّ. سيعرف أنني أخطئ بحقه مهما حاولت أن أسيطر على غضبي وانفعالي. سيرى ندبات وكدمات في أعماق نفسه وسيعرف أنني السبب فيها. أسأله كثيرًا إذا كان سعيدًا معي. أسأله كثيرًا إذا كان يفضل أن تكون أمه مختلفة. يقول إنني «أحلى بنت

في الدنيا». يقول إنه محظوظ أننا نتفق في الكثير من الأمور. أشرد بفكري في يوم يكبر ويدرك حقيقتي.

أتمنى، عندما يأتي هذا اليوم، أن تأخذه بي الشفقة وأن يتأكد أنني حاولت قدر استطاعتي. أنني بذلت قصارى جهدي. أنني لم أبخل عليه بعزيز أو غالٍ. أنني حقًّا «أعطيت ما استبقيت شيئًا». أتمنى أن يغفر ضعفي وسهوي وغضبي وانفعالي. أتمنى أن ينظر إلى عيوبي وأمراض قلبي بعين أكثر رأفة من تلك التي أنظر بها إلى قصوره البشري الطبيعي.

بحبك قد الحاجات إللي نعرفها والحاجات إللي ما نعرفهاش، قد الحاجات إللي شفناها وإللي ما شفناهاش، قد الحاجات إللي أكلناها وإللي ما أكلناهاش.

بحبك قد ذرات الهيدروجين في الكون وقد ذرات الكربون في الأرض، بحبك قد النفَس وتمسكنا به، بحبك قد اللون الأخضر المفضل لديك، بحبك قد حضنك إللي صالحني على دُنيتي، بحبك إلى ما لا نهاية يا قلب ماما.

«وبتسأل يا حبيبي بحبك أد إيه، بتسأل يا حبيبي بحبك أد إيه، ده حبك يا حبيبي بالعالم وإللي فيه.

وبتسأل يا حبيبي بحبك أد إيه، بتسأل يا حبيبي بحبك أد إيه، ده حبك يا حبيبي بالعالم وإللي فيه

بالشمس والقمر، والنجمة والسهر، والنسمة والسفر، بالبحر والشجر

بالشمس والقمر، والنجمة والسهر، والنسمة والسفر، بالبحر والشجر

دا حلم أنا عايشة بيه».